بسرعة حتى يشاهد ازديادها يومياً وبعضها يمر بطيئاً لا يظهر فرق فيه الاَّ بعد اشهر وهذا ليس اقل خطراً من الاول

وقد ظن البعض ان نوعاً من المكروب يدخل الخلايا التي استعدت لنموه فيها بالتهيج المستمر وهذا المكروب هو سبب ما يحدث فيها من التغير السرطاني. وقد ادعى الدكتور بيتون روز الاميركي انهُ اكتشف ما يدل على ان للسرطان مكروباً صغيراً جداً اصغر من ان يرى بالمكرسكوب ولكن لم يثبت اكتشافهُ حتى الآن

والخلاصة ان كل ما عُرف عن حقيقة السرطان محصور في ان الخلايا المؤلف منها جسم الحيوان خاضعة لقانون يحدد نموها في نوعهِ ومقداره وان السرطان ناتج عن خلل موضعي في هذا القانون تتحمل الخلايا التي هناك نمواً غير قانوني. فما هو هذا الخلل وما سببهُ. ذلك مما ينتظر اكتشافهُ عاجلاً او آجلاً ما دام اهل البحث جادّين في امرهِ

القهوة

جاء في بعض التواريخ العربية ان مكتشف خواص القهوة وماهيتها راعٍ من رعاة المواشي عند العرب اعتاد ان يرعى غنمهُ في مرعى معلوم غير انهُ ترك هذا المرعى ذات يوم وذهب بغنمهِ الى غيره فكان من امر غنمهِ انها لم تنم ليلتها فعجب من جراء ذلك عجباً عظيماً وابتدأ يسأل عن السبب في اليوم التالي فعلم ان غنمهُ اكلت ذلك النهار من ثمار شجرة أشبه بشجر الكرز فاخذ يجمع قليلاً من تلك الثمار وأتى بها الى خيمتهِ واستخرج حواصها باغلائها ثم شرب قاصابهُ ما اصاب غنمهُ من الارق فعلم ان من خواص القهوة انها تمنع النوم. وهكذا اكتشف هذا الراعي خواص القهوة التي نشربها اليوم

وانتشر استعمال القهوة اولاً من جزيرة العرب(١) الى فارس فتركيا فاوربا واخيراً عم استعمالها حتى عدنا لا نرى من لا يشربها وكان مصدر القهوة قديماً

(١) جاء في اقوال بعض المؤرخين ان القهوة انتشرت اولاً من جنوبي مملكة الحبشة بدليل ان اسمها عند الافرنج (كافا) مأخوذ من اسم مدينة في الحبشة تسمى (كافه) اشتهرت بزرع البن او القهوة

مخا في جزيرة العرب وجزيرة بوربون من جزائر الانتيل ومن هناك انتقلت الى سائر اقطار العالم وكان ما يخرج من هذين المصدرين كافياً لسد حاجات المولعين بشربها في العالم كله الاَّ انهما امستا اليوم في مؤخرة البلاد التي تصدر القهوة

وينبت البن في سفوح الجبال المحرقة من شبه جزيرة العرب وفي بلاد سنغامبيا من غرب افريقية حيث تكبر انجم القهوة جداً ومعدل علوها عموماً ٥—٦ امتار ويبلغ قطر ساقها ٦ — ٨ سنتيمترات. والزنوج يصعدون اليها لاجتناء ثمرها غير انهم جعلوا في العهد الاخير يكسرونها ثم يتطفون ما كان منها في رؤوس الاشجار. وفي مخا يأتون بالبن وهو اخضر في قشوره ويجففونهُ في الشمس ثم يأتون بتدقة كبيرة يدقونهُ بها لازالة قشوره . وفي جزيرة بوربون يضرب اهلها الهنود الخيام في حقول القهوة منتظرين اوان اجتناء الثمر. غير انهُ في هذه السنين الاخيرة ارتقت الزراعة ارتقاء يذكر وانقلب حالها انقلاباً عظيماً فهبطت حاصلات القهوة في البلاد التي ذكرناها مع انها كانت منبع القهوة كما مر آنفاً . ففي ابتداء القرن التاسع عشر كان يخرج من البن نصف ما ينفقهُ العالم من البن اما اليوم فلا يخرج منهُ الاَّ القليل وهكذا قل عن جزيرة بوربون فقد نقصت حاصلات البن فيها في مدة ٥٠ سنة الى ثلثي ما كانت عليهِ قديماً. وتعد البرازيل الآن مصدر البن الاعظم ولاهلها معرفة صحيحة باحوال الزراعة على الطرق الفنية الحديثة. ففي ابتداء القرن التاسع عشر كانت اكثر اراضي البرازيل غابات لم تمسها يد انسان غير ان الغابات قلت اليوم لتحولها الى اراض زراعية غاية في الخصب. وذلك بفضل نشاط اهاليها وبراعتهم في الزراعة فترى الآن حقول القهوة الكثيرة قد قامت مكان الغابات الواسعة التي لم تكن تأتي بأقل فائدة لبلاد البرازيل فاصبحت اليوم باب رزق وغنى عظيم لان مساحتها نحو هكتار وثمانمئة وخمسة وثمانين الف فدان يزرع منها نحو خمسة وعشرين الف فدان. اما طريقة جني البن فيها فكما ترى :

في صباح كل يوم من ايام القطاف تدق الاجراس في الحقول فيجتمع الفعلة لجمع القهوة من رجال ونساء واولاد اكثرهم من الايطاليين الذين هاجروا الى تلك البلاد فيكدسونها اكداساً وينقلونها الى البساتين ليفرزوها فرازاً في الاحواض الكثيرة التي تتدفق اليها المياه فيرجون فيها القهوة فيرسب التراب في قعرها وتعوم القهوة على سطحها فتجري مع الماء الى خارج الحوض . ثم

يجففونها قليلاً في الشمس فتيبس فيأتون بها الى آلات خصوصية تقشرها وتخرج الحبوب منها ومن ثم يملأون منها الاكياس فيضعون في كل كيس ستين كيلو غراما ويرسلونها في القطرات الى الاسواق المهمة كاسكلة ريودي جانيرو وسانتوس وغيرها

وفي سنة ١٨٧٤ اخرجت البرازيل اربعة ملايين وستة وستين الف ومئة كيس من القهوة وكل كيس كما ذكرنا يسع ستة وستين كيلو غراماً وسنة ١٨٩٨ بلغت حاصلاتها احد عشر مليوناً وستمئة وعشرين كيساً مع ان القهوة التي خرجت من كل العالم في تلك السنة لم تكن سوى خمسة عشر مليوناً وتسعمئة وتسعة وخمسين كيساً . فمن هذا التعديل ترى ان البرازيل في ذاك الحين اخرجت ثلثي بن العالم . غير ان الهند الصينية اليوم اخذت تناظرها في البن فتخرج كل سنة ما يزيد عن اربعين الف كيس وهذا النهوض هو اول دور من ادوار ارتقائها فلا تعلم ما يكون منها في المستقبل فان الحقل الذي لا يزيد عن هكتار يربح كل سنة مئة جنيه وثلاثة من العمال يكفون للعناية بحقل يبلغ خمسة وعشرين هكتاراً ولذلك يقال انهُ سيأتي يوم فيهِ تعادل حاصلات قهوة الهند قهوة البرازيل

ولنتكلم الآن عن القهوة المغشوشة التي تخرج في ايامنا هذه تاركين الزراعة عند حد ما ذكرنا فنقول :

ليس من شيء قابل للتقليد والغش كالبن او القهوة فمن خصائصها انها اذا تخمرت قليلاً فسدت رائحتها وتبدل لونها فلا يصلح الاتجار بها فضلاً عن انها تصير مضرة بالصحة غير ان علماء الكيمياء قد اخترعوا طرقاً كثيرة لاصلاحها وجعلها في قوة القهوة الجديدة وطريقة العمل ان يؤتى بها وتغسل بماء الكلس (الجير) قليلاً وتصبغ بصبغة مركبة من كبريتيت الحديد وصباغ (بروسيا) وغيره وتضاف اليها احياناً صبغات اخر فتجعلها بلون مثل لون القهوة الجديدة في خضرتها ولكن هذا الغش في القهوة يعد قليلاً بالنسبة لما يخرج الآن من القهوة المركبة من مواد مضرة بالصحة اضراراً عظيمة . ففي فينا معامل تصنع هذه القهوة من الطحين المخلوط بمادة اخرى فيعجن ويؤتى به الى حيث يصب في قوالب تخرجهُ حبًّا كحبوب القهوة

وفي كولونيا معامل لعمل صنف آخر من القهوة المغشوشة تصنع القهوة منها من الدقيق المضاف اليهِ قليل من العسل والنشاء (دكسترين) وثمن الآلة ثلثمائة

مارك والقهوة المطحونة تغش اكثر من المحبوب ويصدر كل سنة ما يزيد على ستة عشر مليون كيس من هذا البن وهذه القهوة المغشوشين

وقد دل الاحصاء على ان اميركا اكثر استهلاكاً للقهوة من سائر البلدان ففي اميركا الشمالية يستهلك مئتان وخمسون مليون اقة منها كل سنة فيخص الفرد من اهلها كل سنة نحو خمسة كيلو غرامات الا ان الرجل الهولندي ينفق اكثر من الاميركي فهو ينفق سنوياً تسعة كيلو غرامات والبلجيكي ستة والالماني ثلاثة والفرنسوي اثنين . والانكليز والروس اقل الامم استهلاكاً للقهوة وربما كان ذلك ناتجاً عن كثرة شربهم الشاي

وكان كيلو القهوة يباع في اوربا اول ظهورها بما يساوي اربعة جنيهات الآن وقد قامت قيامة الاطباء في فرنسا عند ظهور القهوة وانذروا شاربيها بالموت العاجل ان ظلوا يشربونها فقام بعض الاطباء يقول انها تجعل لون شاربيها ضارباً الى السمرة . والبعض الآخر يحتمون انها تسبب مرض السرطان وهكذا قام اطباء باريس يكتبون المقالات الضافية في ذمها . ولكنهُ لم يمر زمن قصير حتى غيروا اعتقادهم وقاموا يكتبون الفصول الطوال في مدحها ومدح خواصها العجيبة ويقولون انها دواء الامراض الشافي وقام الدكتور هنري يقول : « ان القهوة تضعف السمين الورم وتسمن الضعيف الهزيل »

وجربوها في الحيوانات بان سقوها منها وراقبوا دورتها الدموية وتنفسها وحالة عضلاتها وحرارتها فرأوا انها تنبه الاعصاب تنبيهاً خفيفاً زائلاً وتجعل عمل القلب والرئتين

وفي هذه الآونة الصغيرة قام عدد من الاطباء يقولون ان للقهوة خاصة ضد العفونة بقتلها المكروبات وقد شهد الدكتور ان هايم ولويج بان القهوة تقتل مكروبات الكوليرا في ساعات قليلة وترى الايرانيين يستعملونها دواء خاصاً للكوليرا عند انتشارها بينهم

والقهوة اذا شربت مع الحليب خصوصاً قل ضررها ونبهت الاعصاب تنبيهاً خفيفاً ومفيداً وكذلك يرى من المفيد ان يتناول الانسان دائماً بعد الاكل فنجاناً من القهوة فتسهل حركات العضلات وتساعد على الهضم وعلى كل فالافراط منها مضر بالصحة العضلية والعقلية كما اتفق على ذلك اطباء هذا العصر نقولا شكري